

# عيوب الكلام

فى تراث العرب



أ. د. محمد رفعت زنجير

الألوكة

[www.alukah.net](http://www.alukah.net)









## حدود البحث

يأتي هذا البحث لمعرفة السياق العام لجهود علمائنا القدامى في معرفة العيوب التي تعترى الكلام والمتكلم حتى القرن الثامن الهجري، لأن اجتناب العيوب هو أساس العملية التعليمية السليمة، وقد عني بها العلماء، إلى أن استقرت وتبلورت على يد السكاكي (ت ٦٠٦ هـ) ومن بعده على يد الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) (ت ٧٤٣ هـ) في كتابيه التلخيص، والإيضاح في علوم البلاغة والذي شرح فيه كتاب التلخيص.

## خطة البحث

قبل أن نبدأ بذكر خطة البحث نود أن نذكر لمحة حول الفصاحة والبلاغة لأن هذا سيكون مدخلنا إلى الخطة. الفصاحة عند العلماء من مقومات البلاغة، فكل بليغ فصيح وليس العكس، وذكر العلماء أن "الفصاحة يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم، والبلاغة يوصف بها الأخيران فقط"<sup>٢</sup>.  
وأما البلاغة في الكلام فهي: "مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته"<sup>٣</sup>.  
وهي في المتكلم: "ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ"<sup>٤</sup>، والبلاغة ذات مراتب متعددة "ولها طرفان: أعلى وهو حد الإعجاز وما يقرب منه، وأسفل وهو ما إذا غير الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات، وبينهما مراتب كثيرة، وتتبعها وجوه آخر تورث الكلام حسناً"<sup>٥</sup>.  
ومن هذه التعريفات التي استقر عليها علم الفصاحة والبلاغة عند المتأخرين في مرحلة ما بعد السكاكي، نستطيع أن نحدد أربعة مستويات للبحث في العيوب التي تعترى اللغويات والآداب عموماً:  
المستوى الأول: البحث في المفردات.  
المستوى الثاني: البحث في التراكيب.  
المستوى الثالث: البحث في المعاني والأساليب والأغراض العامة للكلام.  
المستوى الرابع: البحث في أحوال المتكلم من حيث فصاحته وبلاغته.  
وسوف نتناول الحديث عن هذه المستويات من زاوية العيوب التي تعترىها مما ذكره القدماء ضمن مباحث أربعة، ونحاول فيها تتبع الأطر العامة لقوانين القدماء بإيجاز، وسنسهل البحث بمقدمة عن أهمية البيان وما يعترى من العيوب مأخوذة من ظلال الكتاب والسنة، آملاً أن أكون قد عرفت بجهود العلماء في هذا الصدد، وراجياً أن يوفقنا الله جميعاً إلى مزيد من الجهود لتذليل طرق تعليم هذه اللغة وتجنب الأخطاء في نطقها وأساليبها المختلفة.

<sup>٢</sup> - التلخيص، للخطيب القزويني، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، ص (٢٤)، دار الفكر العربي.

<sup>٣</sup> - التلخيص، ص (٣٣).

<sup>٤</sup> - التلخيص، ص (٣٦).

<sup>٥</sup> - التلخيص، ص (٣٥).

### تمهيد

البيان من أجل نعم الله على الإنسان، وهو من أهم خصائصه الإنسانية التي تميزه عن غيره من الكائنات الحية، والبيان وإن كان وسيلة للتخاطب والتعبير بين الناس كما هو معلوم، فهو صورة عن العقل الإنساني، وثمره من ثمراته، وأثر من آثاره.

والبيان ضرورة للأنبياء والمرسلين عليهم السلام، لأنهم يواجهون أقوامهم بالحجة القاطعة والقول الفصل، فلا بد لهم من حسن البيان، بل هم عليهم السلام أئمة البيان في هذا العالم، قال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)<sup>٦</sup>.

ويأتي في مقدمة الأنبياء والمرسلين فصاحة وبلاغة صفوة الخلق محمد عليه السلام الذي اختص من بينهم بجوامع الكلم، حيث قال متحدثاً بنعمة الله عليه: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض ومسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)<sup>٧</sup>. وهو بالإضافة إلى تفضيله على الأنبياء عليهم السلام بجوامع الكلم، فقد فضل أيضاً على بني جنسه من العرب ببلاغته وفصاحته حيث قال: (أنا أعربكم، أنا من قريش ولساني لسان بني سعد بن بكر)<sup>٨</sup>.

فعملية البيان في البداية والنهاية ضرورة للإنسان حتى يعيش على وجه الأرض، ويتواصل مع بني جنسه، وضرورة للأنبياء والمرسلين حتى يقيموا منهج الله في الأرض، وضرورة لأعداء هذا المنهج أيضاً الذين نصبوا أنفسهم لمواجهة الأنبياء والمرسلين بالكلام المنمق أو زخرف القول كما ذكر القرآن الكريم، وفي هذا الصدد يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): "وذكر الله تبارك وتعالى جميل بلائه في تعليم البيان، وعظيم نعمته في تقويم اللسان، فقال: (الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان)<sup>٩</sup>، وقال تعالى: (هذا بيان للناس)<sup>١٠</sup>، ومدح القرآن بالبيان والإفصاح، وبحسن التفصيل والإيضاح، وبجودة الإفهام وحكمة الإبلاغ، وسماه فرقانا كما سماه قرآناً، وقال: (عربي مبين)<sup>١١</sup>... وذكر الله عز وجل لنبيه عليه السلام حال قريش في بلاغة المنطق، ورجاحة الإحلام، وصحة العقول، وذكر العرب وما فيها من الدهاء والنكراء والمكر، ومن بلاغة الألسنة، واللدّد عند الخصومة، فقال تعالى: (فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد)<sup>١٢</sup>، وقال: (وتنذر به قوماً لدا)<sup>١٣</sup>..<sup>١٤</sup>

<sup>٦</sup> - سورة إبراهيم، الآية (٤).

<sup>٧</sup> - رواه مسلم، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (١٦٠١/٣).

<sup>٨</sup> - رواه ابن سعد ورمز له السيوطي بالصحة، انظر: فيض القدير، للمناوي (١٦٠١/٣).

<sup>٩</sup> - سورة الرحمن، الآيات (١-٤).

<sup>١٠</sup> - سورة آل عمران، الآية (١٣٨).

<sup>١١</sup> - سورة النحل، الآية (١٠٣).

<sup>١٢</sup> - سورة الأحزاب، الآية (١٩).











## المبحث الأول:

### عيوب الألفاظ

الفصاحة تقتضي سلامة اللفظ المفرد أولاً، ثم فصاحة الكلام المركب من الجمل، والفصاحة في المفرد عند البلاغيين تكون بتجرده عن ثلاثة عيوب، وهي عندهم: "خلوصه من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس"<sup>٤٠</sup>.

والتنافر بين الحروف يرجع إلى بنية الكلمة أساساً، وذلك عندما لا يكون هنالك تجانس صوتي بين حروفها مما يسبب صعوبة النطق بها وهو معيب عند الفصحاء، ويعبر البلاغيون عن ذلك بقولهم: "فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان، وعسر النطق بها، كما روي أن أعرابياً سئل عن ناقتة، فقال: (تركتها ترعى الهُتُخُح). ومنه ما دون ذلك كلفظ مستشزرات في قول امرئ القيس:

\* غدائره مستشزرات إلى العلا \*<sup>٤١</sup>

\* حمامة جزعى حومة الجنندل اسجعي \*

وفيه نظر، لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان، فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم، وإلا فلا تُخل بالفصاحة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم)<sup>٦٠</sup>

ومن عرض الحديث مفصلاً عن عيوب التراكيب اللفظية قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ)، فتحدث عن عيوب اللفظ، فقال: "أن يكون ملحونا وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة، وقد تقدم من استقصى هذا الفن، وهم واضعو صناعة النحو، وأن يركب الشاعر منه ما ليس بمستعمل إلا في الفرط، ولا يتكلم به إلا شاذاً، وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته له، وتنكبه إياه، فقال: كان لا يتبع حوشي الكلام، وهذا الباب يجوز للقدماء ليس من أجل أنه حسن، لكن لأن من شعرائهم من كان أعرابياً قد غلبت عليه العجرفية، وللحاجة أيضاً إلى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب، ولأن من كان يأتي منهم بالوحشي، لم يكن يأتي به على جهة التطلب له، والتكلف لما يستعمله منه، ولكن لعادته، وعلى سجية لفظه"<sup>٦٢</sup>.

<sup>٤٠</sup> - التلخيص، للخطيب القزويني، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، ص (٢٦).

<sup>٤١</sup> - الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، شرحه د. محمد عبد المنعم خفاجي، (١/٧٢-٧٣). دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

<sup>٦٠</sup> - رواه البخاري، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (٣/١٣٧٢).

<sup>٦١</sup> - الإيضاح في علوم البلاغة، شرحه د. محمد عبد المنعم خفاجي، (١/٧٨).

<sup>٦٢</sup> - نقد الشعر، ص (١٧٢).











## المبحث الثالث:

### عيوب المعاني والأساليب

الاحتراز من عيوب المعاني من مقتضيات البلاغة، " والمعاني على ضربين: ضرب يتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدي به فيه، أو رسوم قائمة في أمثلة مماثلة يعمل عليها... وينبغي أن يطلب الإصابة في جميع ذلك، ويتوخى فيه الصورة المقبولة والعبارة المستحسنة، ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره، ولا يغرر ابتداعه له، فيسهل نفسه في تهجين صورته، فيذهب حسنه ويطمس نوره، ويكون أقرب إلى الذم منه إلى المدح" <sup>٨٦</sup>.

كما ذكر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ضرورة التنويع في القصيدة، وألا تكون على وتيرة واحدة في كونها أمثالا فقط، يقول: "القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تسر، ولم تجر مجرى النوادر، ومتى لم يخرج الشاعر من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع" <sup>٨٧</sup>.

ومن العيوب التي يقع بها الخطباء ترك الاقتباس من القرآن في الخطب، أو عدم بدايتها بالتحميد، يقول الجاحظ: "وعلى أن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين لهم بإحسان، مازالوا يسمون الخطبة التي لم تبتدئ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد، البتراء، ويسمون التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: الشوهاء" <sup>٨٨</sup>.

ويرى ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) أن من العيوب التي يقع بها الكتاب عدم مراعاة مقتضى الحال، يقول: "ونستحب له أيضا. أي للكاتب. أن ينزل ألفاظه في كتبه، فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضعيف الكلام، فإني رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم، وخلطوا فيه، فليس يفرقون بين من يكتب إليه: (فرأيك في كذا). وبين من يكتب إليه: (فإن رأيت كذا). و (رأيك) إنما يكتب بها إلى الأكفاء والمساوين، ولا يجوز أن يكتب بها إلى الرؤساء والأستاذين، لأن فيها معنى الأمر ولذلك نصبت" <sup>٨٩</sup>.

وحذر ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) من الأخطاء التي تقع في معاني الألفاظ، فتحدث عنها في كتاب المعرفة: باب ما يضعه الناس في غير موضعه، وهو أول باب في كتابه أدب الكاتب، وضرب لذلك أمثلة، "من ذلك: أشفار العين، يذهب الناس إلى أنها الشعر النابت على حروف العين، وذلك غلط، إنما الأشفار حروف العين التي ينبت

<sup>٨٦</sup> - كتاب الصناعتين، للعسكري، تحقيق د. مفيد قميحة، ص (٨٥).

<sup>٨٧</sup> - البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، (٢٠٧/١).

<sup>٨٨</sup> - انظر: البيان والتبيين، (٦/٢).

<sup>٨٩</sup> - أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (١٤-١٥). دار المطبوعات العربية، بيروت.













## المبحث الرابع: عيوب المتكلمين

إذا عدنا إلى تعريف فصاحة المتكلم عند البلاغيين وجدناها: "ملكة يقتدر بها على التعبير عن المعنى المقصود، بلفظ فصيح"<sup>١٢٩</sup>. وأما البلاغة فهي: "ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ"<sup>١٣٠</sup>، فالأساس في الفصاحة والبلاغة هو الاستعداد الفطري عند الإنسان وهو ما عبروا عنه بلفظ ملكة، بمعنى موهبة أو قدرة فطرية تجعله يقدر على التأليف الجميل في أي موضوع يريد، بيد أن هنالك أمور تعتري المتكلم تحول بينه وبين الفصاحة والبلاغة، من ذلك:

١- العي، وهو في اللغة الحصر<sup>١٣١</sup>، وهو أمر مذموم في البيان، يقول الجاحظ: "ومما ذموا به العي قوله:

وما بي من عي ولا أنطق الخنا إذا جمع الأقوام في الحي محفل"<sup>١٣٢</sup>

والعي مذموم، وقبحه عند الجاحظ أكثر من سلاطة اللسان، يقول: "وضرب الله مثلا لعي اللسان ورداءة البيان، حين شبه أهله بالنساء والولدان، فقال تعالى: (أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين)<sup>١٣٣</sup> ... وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة، وسقطات الخطل، يوم إطالة الخطبة، بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجة، وعن الحصر من فوت درك الحاجة"<sup>١٣٤</sup>.

٢- اللثغة، وهي تحول اللسان من السين إلى الثاء، أو من الراء إلى الغين، أو اللام، أو الياء، أو من حرف إلى حرف<sup>١٣٥</sup>، وقد ذكر الجاحظ الحروف التي تدخلها اللثغة: "وهي أربعة أحرف، القاف والسين واللام والراء، فأما التي هي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوره الخط، لأنه ليس من الحروف المعروفة، وإنما هو مخرج من المخارج، والمخارج لا تخصى ولا يوقف عليها، وكذلك القول في حروف كثيرة من لغات العجم"<sup>١٣٦</sup>. وقد ضرب الجاحظ أمثلة متعددة للثغة، فقال: "فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء، كقولهم لأبي يكسوم: أبي يكثوم، وكما يقولون: يثرة إذا أرادوا يسرة، وبشم الله إذا أرادوا بسم الله.

<sup>١٢٩</sup> - التلخيص، للخطيب القزويني، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، ص (٣٢).

<sup>١٣٠</sup> - التلخيص، ص (٣٦).

<sup>١٣١</sup> - انظر: القاموس المحيط، مادة (عي).

<sup>١٣٢</sup> - البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، (٤/١).

<sup>١٣٣</sup> - سورة الزخرف، الآية (١٨).

<sup>١٣٤</sup> - البيان والتبيين، (١٢/١).

<sup>١٣٥</sup> - انظر: القاموس المحيط، مادة (لثغ).

<sup>١٣٦</sup> - البيان والتبيين، (٣٤/١).























## خاتمة

تناولنا في هذا البحث الحديث عن موقف الكتاب والسنة من البيان كمدخل للبحث، وبيننا أن البيان ممدوح فيهما، وأن الأنبياء أفصح بني جنسهم، ثم تحدثنا عن عيوب الكلام في تراث العرب من خلال مباحث أربعة، خصص الأول منها لعيوب الألفاظ، ووجدنا أن الأئمة يريدون اللفظ السهل الميسر الذي يتعد عن الوحشي البدوي والهجين السوقي، ويكون سليما من اللحن، يعبر عن معناه، والثاني لعيوب التراكيب، ووجدنا أن الأئمة يريدون الكلام الفصيح الذي يبعد عن التنافر، والضعف والتعقيد، والثالث لعيوب المعاني والأساليب، وما يعتري المعاني العامة والأغراض الشعرية والأدبية من الأخطاء المختلفة، وهذه الأخطاء منها ما هو بسبب سوء فهم اللغة وعدم الإجادة في استخدامها، أو بسبب سوء استخدام البديع، ومنها ما يرجع إلى عدم مراعاة الموقف الذي يقتضي كلاما بعينه، أو بسبب مخالفتها للمعقول الثابت والوقائع الجارية. والرابع لعيوب المتكلمين، وذكرنا منها ما يرجع إلى ضعف بلاغة المتكلم، ومنها ما يرجع إلى عيب خلقي ينبغي علاجه إذا أمكن ذلك، ومنها ما يرجع إلى البيئة بسبب مخالطة الأعاجم.

وقد قدم هذا البحث أمورا ثلاثة:

الأول: تنويرا عن جهود السلف بهذا الصدد، وهو كشف العيوب اللغوية بعامه، وقد كانت جهودهم ثمينة في هذا المجال.

والثاني: أهمية إيجاد النص السليم الذي يلائم المخاطبين وهو خطوة منهجية أولى لمعالجة عيوب اللغة والنطق بها، وبتعبيرنا اليوم: إيجاد المنهج الجيد الذي يلائم الطلبة.

والثالث: ضرورة معرفة عيوب المتكلم الخلقية أو المكتسبة، وضرورة علاجها من أجل إيجاد الإنسان الفصيح المجيد للغة العربية.

## ونود أن نقرر في نهاية هذا البحث الحقائق التالية:

أولا: إن القوانين البلاغية بين اللغات متشابهة إلى حد كبير، لذا يمكن أن ننتفع بما وصل إليه علم الأسلوب والنقد الأدبي عند الأمم الأخرى، وأن ينتفعوا بما عندنا، وفي هذا الصدد يقول أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ): "العجم والعرب في البلاغة سواء، فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات، ثم انتقل إلى لغة أخرى، أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي، فحولها إلى اللسان العربي، وبذلك على هذا أيضا أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم، هي على نمط خطب العرب ورسائلها، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعة"<sup>١٩٨</sup>

١٩٨ - ديوان المعاني، للعسكري، (٢/٨٩)، عالم الكتب.







## المصادر والمراجع

- ١- أدب الكاتب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص (١٤-١٥). دار المطبوعات العربية، بيروت.
- ٢- أسرار البلاغة، للجرجاني، تحقيق هـ. ريتز، دار المسيرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٣- إعجاز القرآن، للباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق السيد صقر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة.
- ٤- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) (٧٣٩هـ)، شرحه د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ٥- البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- ٦- التلخيص، للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي.
- ٧- دلائل الإعجاز، للجرجاني، تحقيق محود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ٨- ديوان المعاني، للعسكري، عالم الكتب.
- ٩- الروض الأنف، للسهيلى، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- ١٠- سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ١١- العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيواني تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ١٢- عيار الشعر، شرح عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ١٣- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، تحقيق خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ١٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار الفكر.
- ١٥- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ١٦- قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، للبغدادي (ت ٥١٧هـ)، تحقيق د. محسن فياض عجيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- ١٧- قصص الأنبياء، لابن كثير، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- ١٨- كتاب الحيوان، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.
- ١٩- كتاب الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.



## الفهرس

٣	مقدمة
٤	أهمية البحث
٥	حدود البحث
٥	خطة البحث
٦	تمهيد
١١	المبحث الأول: عيوب الألفاظ
١١	المبحث الثاني: عيوب التراكيب
١٦	المبحث الثالث: عيوب المعاني والأساليب
٢٣	المبحث الرابع: عيوب المتكلمين
٣٣	خاتمة
٣٧	المصادر والمراجع